

كاظمة

« بقية ما نشر في العدد الماضي ،

« الفرزدق كويتي !! »

يدري لعله نزل في يوم من الأيام على أحد المياض الواقعة في منطقة مدينة الكويت بالذات كابي (دواره) أو (الدمنة) أو (الرأس) وأنا أعتقد أن هذه المياض لم تكن مجهولة لدى العرب القدماء ، وربما عرفوا عنها أكثر مما نعرفه نحن اليوم .

وقد غزت شيان وهي من أشهر القبائل العربية ، بنى تميم على ماء كاظمة تريد الاستيلاء عليه فهزمهم بنو تميم ، صدوهم عنه وفي هذه الواقعة يقول الفرزدق مفتخراً :

لقد رجعت شيان وهي أذلة
خزايا ففاضت في الوثاق وفي الأزل
وكان لها ماء الكواظم غرة
وحرب تميم ذات خبل من الخبل
فما رحم حتى لقيتم حماكم
وآب مولوكم فراراً من القتل

والفرزدق في الحجاز حين يذهب للاستنجاع — وهو مكرم في كل بلد يحل فيه أما لشهرته وعلو كعبه في الشعر ، وأما خوفاً من شطحات لسانه — يرى نفسه غريباً عن أول أرض مس جلده تراها ، فتراه يتحرق شوقاً إلى كاظمة موطنه المحبب إلى نفسه ، فلا تسليه عنه نعم الحجاز ولا ما يقدمه له ولاته من انعام وإكرام فيقول :

نحن بزوراء المدينة ناقي
حين محمول تبتغي البورام
فياليت زوراء المدينة أصبحت
بأعفار فلج أو بسيف الكواظم

وقد كان جرير وهو عدو الفرزدق الألد ، يعير الفرزدق بسكنائه كاظمة فيقول :

فإن وكيعاً حين خارت مجاشع
كفي شعب صدع الفتنة المتفام
لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً
وريش الدنابي تابع للقسوادم

« الفرزدق كويتي ! »

نعم إنه كويتي قبل الكويتيين .

الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة من مشاهير الشعراء وهو علم من أعلام الأدب العربي ، ويقال إن شعر الفرزدق حفظ ثلث اللغة العربية ، إذ لو لا شعره لضاع الشيء الكثير من اللغة . وقل من لم يقرأ منا للفرزدق شيء من الشعر قل أو أكثر ، وأمر مهاجته مع جرير — وكلاهما من تميم — مشهور . إذ دامت هذه المهاجاة قرابة الأربعين عاماً شغلت قصائد جميع أندية الأدب وحلقات دراسته في جميع البلاد العربية ، وكانت الركيان تحمل هذه القصائد إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية . والرواة تتهافت على رواية هذه القصائد ، واعتنى علماء اللغة العربية بها أيما اعتناء . فألفوا فيها الكتب المشهورة ، تلك الكتب التي أفادت الأدب العربي أيما إفادة . ككتاب النقائص لابي عبيدة .

إن كاظمة القريبة منا هي الموضع الذي اختاره الفرزدق محلاً لسكنائه — وربما ولد فيها — ففيها نظم أكثر قصائده الخالدة ، وفيها كانت ترده قصائد جرير ، فيها الهجاء الفاحش فيرد الفرزدق عليها بما هو أخش منها ، فلان يتصاولان والعرب قاطبة تستصيح لسحر بلاغتهما .

كاظمة موطن الفرزدق الأول لا يبارحها إلا في أيام الربيع ، حيث يرتاد العشب في المناطق القريبة من كاظمة مثل (الفريده) و (الساده) و (الرحيّة) وهي مواضع تقع في الغرب من الجهرة ، وهي قريبة من الكويت وداخل حدودها .

فبنوا تميم وهم قوم الفرزدق يقطنون المنطقة التي يحدها من الشمال كاظمة ومن الجنوب (انطاع) ومن الغرب الدو (الدبدة) ومن الشرق العدان . وكانت مجاشع وهي فخذ من التميم ، وعلى الأخص بنو دارم وهم قوم الفرزدق ، يقطنون المنطقة الواقعة بين كاظمة والبرقان .

وكان الفرزدق بالذات يسكن كاظمة وما جاورها ، ومن

ندافع عنكم كل يوم عظيمة
وأنت قراحي بسيف الكواظم

فيرد الفرزدق عليه بقصيدة غراء جاء فيها :

وما علم الأقباط مثل أسيرنا

أسير ولا أجدائنا بالكواظم

ويعني الفرزدق بقوله ولا أجدائنا بالكواظم قبر أبيه
غالب بن صعصعة ، وغالب من أجداد العرب . وله قصص
تكاد تكون جنونية في الكرم ، وقبره الذي يمينه الفرزدق
في « أمقره » الموضع القريب من الكويت والذي يقع بين
الجهراء والكويت وسيأتي بحث ذلك .

وكانت المساجلات الشعرية التي تقام في كاظمة والتي
ينشد كبار الشعراء فيها قصائدهم المشهورة كثيرة ، سجل لنا
التاريخ منها شيئاً وأهمل أشياء . فكان من أبطال هذه
المساجلات ذو الرمة والحطيئة وغيرهم وإليك بعض ذلك .

قال أبو الفرج صاحب كتاب الأغاني في كتابه جزء ١٦
صفحة ٢٢ . قال الضحاك الفقيمي بينما أنا بكاطمة وذو الرمة
ينشد قصيدته التي يقول فيها

أحين أعادت بي تميم نساءها

وجردت تجريد اليماني من الغمد

ومدت بضبعي الرباب ومالك

وعمر ووشات من ورأى بنو اسد

ومن آل يربوع زهاء كأنه

دجى الليل محمود النكاية والورد

وكنا إذا الجبار صعر خده

ضربناه فوق الأثنين على الكرد

إذا راكبان تدليا في نعف كاظمة ، متقنعان فوقفا

فلما وقف ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه ، وقال يا عبید

اضمنها إليك « وعبید هذا راوية الفرزدق » فقال

ذو الرمة نشدتك اللهيا أبا فراس . فقال الفرزدق دع ذاعتك

فجعلها الفرزدق في إحدى قصائده وتلحن عنها ذو الرمة .

وهذه الأبيات الأربعة جعلها الفرزدق ضمن قصيدة له

هجا فيها جنبد وعم قيساً ومطلعها .

أتوعدني قيس ودون وعيدها

ثراء تميم والعوادي من الأسد

وجهة نظر

سألني أحدكم بالأمس قائلاً .

لقد جمعت بعض المال خلال هذه السنوات الماضية ،
ولي فلة كبد تدير على هذه الأرض ، وغايتي في الحياة هي
ضمان مستقبل هذا الصبي .

فأني له أتعب ، ومن أجله أكد وأشقى .

فهل تشير على بشراء بيوتات هنا ، أو فدادين من الأرض
هناك ، أو أسهم وسندات من هنا وهناك ؟

فأجبت . إن بذل بعض هذه الدراهم في ميدان تعليم
صبيك . لهُ خير وأبقى ألف مرة من أن تترك له أوراق
هذه البيوتات ، أو تلك الفدادين !

ففي هذه الثانية تكون الدراهم قد بذلت في شيء ثابت
دائم . فهي باقية مابقي على قيد الحياة .

أما الأخريات ففانيات حتماً إن أسرف في يوم ما ، وأسلم
نفسه لقيادها .

وسيدكرك والمجتمع إن قمت بالثانية ، وسينسالك الجميع
إن حاولت الأولى .

وفي الحياة شواهد وعبر ، لمن يتعظ ويعتبر .

فاختر ماتشاء . فأنت الباذل المستشير .

سأهدى لعاوي قيس عيلان إذ عوى

لشقوته احدي الدواهي التي اهدى

إلى أن قال تمهيداً لأبيات ذو الرمة الأربعة

شدخت رؤوس الناجمين وحطمت

جماجم مرداة قوم بها أردى

أحين أعادت بي تميم نساءها

الح الأبيات الأربعة

وبعد فإن يعتز القارئ الكويتي بمواطنه الفحل

— الفرزدق — فسيري في بحوث قادمة أن موطنه كان له

شأن كبير في التاريخ ، وعلى أرضه تجلت صفات كثيرة

هامة فيها الممتع من الحوادث والقريب من الوقائع التاريخية

المعروفة لم تذكر فيها الكويت لحدائنها .

الكويت أحمد البشير